

الصبغة التعليمية عند ابن هشام النحوي من خلال مصنفاته
كتاب "شرح قطر الندى وبل الصدى" أنموذجا
- دراسة وصفية تحليلية-

**The Educational Aspect in Ibn Hisham Al-Nahwi's Works:
A Case Study of 'Qatr al-Nada wa Bil al-Sada' as a Model:
A Descriptive Analytical Study**

فريد لوبار^{1*}، أ. د لخضر حداد²

¹ جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، مخبر الشريعة (الجزائر) f.loubar@univ-alger.dz

² جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، lk.haddad@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/25 تاريخ القبول: 2024/09/03 تاريخ النشر: 2024/09/30

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الرؤية التجديدية التي جاء بها ابن هشام النحوي في مجال الدراسات اللغوية والنحوية من خلال آثاره، فقد سار بحق إلى التجديد في علم النحو العربي من خلال إضفاء الصبغة التعليمية على بعض كتبه خاصة كتاب: "شرح قطر الندى وبل الصدى".

كما أنها تسعى إلى إمالة اللثام عن أهم السمات التي ميزت منهجه في مجال التصنيف في الدرس النحوي، وكذا بيان مدى إسهامه في بناء صرح النحو العربي من خلال تبسيط قواعد اللغة وتيسيرها للطلاب، وكذا الكشف عن مدى الاهتمام الذي حرص عليه من تحصيل الملكة والمعرفة والتأصيل لدى المبتدئين في علم النحو.

الكلمات المفتاحية: ابن هشام، قطر الندى، النحو، المنهج، السمة التعليمية.

The field of linguistic and grammatical studies through his work. He ventured into the renewal of Arabic grammar by impairing an educational dimension to some of his books, especially his work “ Sharh Qatr Al-Nada wa Bal Al-SADA”. Furthermore, it seeks to unveil the key features distinguishing his method in the classification of grammatical lessons, as well as highlighting his contribution to the construction of the Arabic grammatical structure by amplifying’s language rules and facilitating them for students. Additionally, it reveals the extent of his emphasis on acquiring mastery, knowledge, and grounding among beginners in the study of grammar.

Keywords: Ibn Hisham Al-Nahwi; Qatr Al-Nada; grammar; methodology; educational dimension.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

يعد ابن هشام النحوي ت/761هـ أحد أهم علماء اللغة العربية وعلماء من أعلامها المتمكنين والمبرزين، وخاصة في علمي النحو والصرف، كما كان له مكانة علمية قوية بين النحاة؛ إذ بلغت شهرته الآفاق وفاق الأقران حتى صار إمام العربية الأكبر في زمانه وعصره حتى لقب بسيبويه زمانه.

وقد خلف ابن هشام النحوي تركة علمية ومعرفية ضخمة، وخاصة آثاره اللغوية التي تعد من أبرز كتب اللغة والنحو والصرف في موروث العربية اللغوي، كما أنها تعد من أهم الكتب المصنفة في النحو في عصره.

كما أن مصنفاته في الدراسات النحوية خاصة، هي إضافة حقيقية وإسهام فعلي في صرح بناء النحو العربي كما أن مدرسته النحوية مدرسة متكاملة البناء وتامة الأركان، إذ هي مدرسة مستقلة في منهجها وأسلوبها وكذا في معالمها وسيماتها لها أصولها وفروعها وكتبها المحنفة بها.

وتظهر مكانة ابن هشام اللغوية وقيمة آثاره في ذلك الاهتمام الكبير والعناية الواسعة لمصنفاته وكتبه قديما وحديثا؛ إذ لا توجد كتب حظيت باهتمام وعناية كبيرين مثله، حيث كانت مادة إنتاجه مجال دراسة وبحث في حياته وبعد وفاته وإلى يوم الناس هذا، ويظهر ذلك جليا في تلك الشروح والحواشي والتعليقات، ثم الأبحاث والدراسات التي كانت على آثاره، وهذا ما يبين مكانته اللغوية وكذا قيمة آثاره ومدى تأثير مدرسته في الدراسات اللغوية عموما والنحوية خصوصا في كل من جاء بعده.

ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة لتسلط الضوء على ما خلفه ابن هشام من إنتاج معرفي وعلمي لبيان أسلوبه ومنهجه في التأليف، وكذا الكشف عن أهم السمات التي ميزت آثاره ومدى إسهامه في الدراسات النحوية وتأثيره فيمن جاء بعده، كما أنها تسعى إلى إعطاء رؤية واضحة عن مدرسته من خلال مصنفه: "شرح قطر الندى وبل الصدى".

ويمكن أن أجمل أهمية هذه الدراسة في هذه النقاط الآتية:

- ارتباط البحث بأصول النحو ومناهج التأليف في علم النحو العربي.
- صلتها بشخصية علمية فذة لها مكانتها في اللغة العربية وقيمتها وتأثيرها في الدراسات اللغوية والنحوية.
- الرؤية الإصلاحية الجديدة عند ابن هشام النحوي في تاريخ النحو العربي من خلال كتبه، كما تكمن أهمية الدراسة في كونها تبحث في المدارس النحوية وتاريخها من حيث النشأة والمنهج والمصادر، والتي هي بمثابة اللبنة الأولى في بناء صرح النحو العربي.

وأما الهدف من هذه الدراسة فهو الوقوف على بعض آثار ابن هشام النحوي، وخاصة كتابه: "شرح قطر الندى وبل الصدى"، ومحاولة الكشف عن أسلوبه الفريد ومنهجه الجديد الذي سلكه في التأليف والتصنيف، في مجال الدراسات النحوية وكذا الصبغة التعليمية والتربوية التي أضفها على جل آثاره، وخاصة هذا الكتاب، وبعض كتبه الأخرى كالشذور والتوضيح والمغني والإعراب وغيرها؛ وكل هذا بغية الوصول إلى الملامح والسمات التي ميزت مدرسته النحوية إن صح التعبير.

وأما مجال الدراسة ومحلّه؛ فينصب على كتاب: "شرح قطر الندى وبل الصدى" للمؤلف، إذ عليه وقع اختياري كنموذج للبحث والدراسة، وذلك لأحد سببين هما:

الأول علاقته بأطروحة الدكتوراه؛ فهي متصلة بهذا الكتاب من خلال تحقيق حاشية وضعت على شرح المنصف لـ: "قطر الندى وبل الصدى"، للشريف الحسن بن عبد الكبير التونسي ت/1236هـ، والثاني مكانة هذا المتن الصغير وقيمة شرحه؛ إذ يعد من المختصرات الجامعة التي يعنى بحفظها وشرحها لدى طلاب هذا العلم في مختلف المدارس والمعاهد، ثم مكانة مصنفه العلمية في مجال الدراسات النحوية واللغوية وكذا ما يتصل بتخصصي في مجال الدراسات اللغوية والقرآنية.

وأما الدراسات السابقة لهذا الموضوع؛ فإني لم أجد في حدود اطلاعي بحثاً أو دراسة أو كتاباً أفردوا بالدراسة، إلا ما وجدته منشوراً ومبثوثاً في ثانيا بعض الكتب والدراسات والأبحاث التي ألفت عن ابن هشام النحوي وأثاره.

ومن خلال كل ما سبق ترمي هذه الدراسة الإجابة عن هذه الإشكالية الآتية:

ما هي السمة التي أضفاها ابن هشام النحوي على كتبه وما الإضافة الجديدة التي جاء بها، وما الطابع الذي ميزها؟، وما المنهج الذي اعتمده في كتابة مصنفاته وما أهم سيماته؟، وما مدى إسهامه في تيسير قواعد النحو العربي في مصنفه "شرح قطر الندى وبل الصدى".

ولحل عَقْدِ هذه الإشكالية وللإجابة عن تساؤلاتها، اقتضت طبيعة هذه الدراسة ومادتها وبناء هيكلها أن تنتظم في مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما مقدمة البحث؛ ففيها التمهيد للموضوع وأهميته ودوافع اختياره والهدف منه، وجميع عناصر مقدمات البحوث، وأما المبحث الأول ففيه الكلام عن حياة ابن هشام النحوي ومكانته العلمية وقيمة آثاره.

والمبحث الثاني فيه الكلام عن كتاب "شرح قطر الندى وبل الصدى"، ثم الملاح العامة لمنهجه في كتابه، وكذا الكشف عن الصبغة التعليمية والتربوية التي أضفاها عليه.

وأما الخاتمة ففيها ذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، مع إيراد ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول: ترجمة لابن هشام النحوي.

إن العناية والاهتمام بمصادر الإنتاج المعرفي والعلمي للعلماء لها أهمية كبيرة في دراسة مكانة العالم وقيمة آثاره، كما أنها تساعد في بيان منهجه في التأليف ومزايا أسلوبه.

وهذه الأهمية تزداد كلما كان البحث عند المتقدمين من علمائنا لدى سلفنا الصالح، وخاصة إذا كانت الدراسة منصبّة على شخصية علمية لها مكانتها وحضورها في مجال الدراسات اللغوية عموماً والنحوية خصوصاً والدراسات القرآنية، ثم ما خلفه من إنتاج ضخم وقيم لدى الباحثين والدراسين قديماً وحديثاً وإلى يومنا هذا، وهذه الشخصية هي ابن هشام النحوي الأنصاري.

ومن هنا سأقدم نبذة مختصرة عن هذه الشخصية، من عرض لحياته وذكر أهم مؤلفاته ومكانته.

المطلب الأول: حياة ابن هشام النحوي.

أولاً: الحياة الشخصية.

1- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام¹، وتكاد تتفق جميع كتب التراجم التي ترجمت له على هذا الاسم²، وأما كنيته، فيكنى بأبي محمد أو ابن هشام، وهذه الأخيرة هي الشائعة في كتب التاريخ والتراجم، كما أنها الكنية التي جرت منه مجرى الأعلام في الأوساط العلمية فلم يشتهر بغيرها³، وأما لقبه؛ فيلقب بـ "جمال الدين"⁴.

¹ انظر: ترجمته، في: الدرر الكامنة، لابن حجر، (93/3-95). وبغية الوعاة، للسيوطي، (70-68/2). والأعلام، للزركلي، (147/4). ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، (163/6 و164).

² إلا الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة، حيث ذكر غير هذا النسب. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، ت/ محمد عبد المعين ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد/الهند، ط2، سنة 1392هـ/1972م. (93/3).

³ انظر: تطور الفكر النحوي عند ابن هشام الأنصاري من قطر الندى إلى مغني اللبيب، مصطفى حسين آدم عبد الله، دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، سنة 1430هـ/2009م، (ص24).

⁴ انظر: المرجع نفسه، (ص25 و26).

وأما نسبته فهو الأنصاري، المصري، النحوي، وهي واضحة وظاهرة، وأما نسبته إلى مصر؛ فهي بلده الذي نشأ فيها وموطنه الذي تربى وشب وتعلم وعلم ومات ودفن فيه، وأما النحوي؛ فنسبة إلى علم النحو الذي عرف به وبرع فيه، وهناك من ذكر بأنه يعرف أحيانا بصاحب "المغني"، نسبة إلى كتابه: "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"¹، وأما نسبته إلى الأنصار؛ فظاهر من أنه من سلالة الذين نصرُوا النبي(ص) واتبعوه وآزروه فسماهم أنصارا، وهم من أبناء الأوس والخزرج، وقرر بعض الأُشياخ أن ابن هشام كان من الخزرج².

وقيل في المجلد: إن نسب ابن هشام مع تفصيله يجري في اثني عشر لفظا بين كنية واسم ولقب ونسبة كما يأتي: (أبو محمد، عبد الله، جمال الدين، بن يوسف، بن عبد الله، بن يوسف، بن أحمد، بن عبد الله، بن هشام، الأنصاري، المصري، النحوي)³.

2 مولده ونشأته:

اتفق جميع المؤرخين على أن ابن هشام النحوي ولد في القاهرة في شهر ذي القعدة من سنة (708هـ)، أي في أوائل القرن الثامن الهجري⁴، ونشأ وترعرع في القاهرة؛ والذي يظهر أن كتب التراجم لم تورد شيئا عن نشأته الأولى إلا أنها ذكرت أنه لم يخرج من مصر⁵.

ولا يوجد في كتب التراجم على كثرتها ما يتيح لنا التعرف على حياة ابن هشام وأسرته ونشأته الأولى بشيء من التفصيل، ولكن كانت القاهرة مع نشأته موئل العلم والعلماء ومهد الحضارة والفن، والقبلة التي يتوجه إليها في محراب الثقافة والفكر، فلقد زحرت مدارسها ومساجدها بالعلماء الذين نبغوا في كل فن، وتعمقوا في شتى ضروب المعرفة السائدة في عصرهم⁶.

¹ انظر: تطور الفكر النحوي عند ابن هشام الأنصاري من قطر الندى إلى مغني اللبيب، مصطفى حسين آدم عبد الله، (ص26).

² ذكر ذلك، محمد الأمير في حاشيته على المغني، حيث قال إن: (...أجداده القدامى ينتمون إلى الخزرج من الأنصار).

انظر: حاشية على متن المغني، الأمير محمد الشيخ، (د ط)، مطبعة الحلبي، القاهرة، سنة 1302هـ، (ص26)، ومثله ذكر الضبع في كتابه. انظر: ابن هشام وأثره في النحو العربي، يوسف عبد الرحمان الضبع، دار الحديث، القاهرة، ط1، سنة 1418هـ/1998م، (ص17 و18).

³ انظر: تطور الفكر النحوي عند ابن هشام/ مصطفى حسين، (ص26).

⁴ الدرر الكامنة/ ابن حجر، (93/3).

⁵ ومن المعلوم أنه نشأ محبا للعلم والتعلم والعلماء فأخذ عن كثير منهم كما يظن بمثله، وهذا أمر معلوم لا يخفى.

⁶ انظر: تطور الفكر النحوي عن ابن هشام/ مصطفى حسين، (ص28).

وابن هشام النحوي نشأ في هذه البيئة المتحضرة والعامرة بالعلم والعلماء وترعرع فيها؛ لأن مسقط رأسه بها ومستقر أسرته فيها، وقد ذكر صاحب كتاب (المدارس النحوية) نحو هذا الكلام، فقال: "...لم يحدثنا التاريخ أنه انتقل منها أو رحل عنها)¹.

ثانيا: حياته العلمية.

1 طلبه العلم ورحلاته:

بدا لي من خلال كتب التراجم التي تحدثت عن ابن هشام النحوي أنها لم تصرح بشيء عن كيفية طلبه للعلم، غير أنه نشأ كغيره من الصبيان على أيدي المؤدبين كما هو الشائع في عصره، فقد تعلم عنهم مبادئ القراءة والخط والكتابة والحساب وقراءة القرآن، وأخذ منهم مبادئ اللغة وآداب الدين والأخلاق وغيرها، حيث إنه نشأ في بعض المدارس المعروفة في مصر في ذلك الوقت، وكذا في جامع الأزهر وفي بعض مساجد القاهرة².

كما أن دراسته لم تعد القاهرة، فكتب التراجم على كثرتها لم تصرح في واحد منها أنه غادر مصر لطلب العلم، فرحلاته العلمية غير موجودة إلا ما ذكره عن نفسه أنه رحل إلى مكة مرتين، الأولى سنة 749هـ، وبهذا صرح في كتابه "المغني"، حيث قال: {...وقد كنت في عام تسعة وأربعين أنشأت بمكة زادها الله شرفا كتابا في ذلك منورا...}³، وأما الثانية فكانت في سنة 756هـ، حيث قال عن هذه الرحلة في كتابه "المغني": {...ولما من الله تعالى علي في عام ستة وخمسين بمعاودة حرم الله والمجاورة في خير بلاد الله...}⁴.

¹ انظر: المدارس النحوية، عبد العال سالم مكرم، (354).

² من هذه المدارس والمساجد، الجامع الحاكمي والخشابية والكاملية والمسجد الحسني والقبعة المنصورية والأزهر. أنظر: ابن هشام وأثره في النحو العربي/ الضبع، (ص44).

وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة، (209/3)، كلاما جاء فيه: "...أن ابن المرحل تصدر فيه- الجامع الحاكمي-، ومعلوم أن ابن هشام كان ملازما له).

³ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ت: مازن المبارك، محمد على حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985 م، (ص12).

⁴ المصدر نفسه، (ص12).

2 شيوخه وتلاميذه:

ثم إن ابن هشام النحوي كغيره من العلماء له شيوخه وتلاميذه، فأما شيوخه؛ فقد أخذ عنهم العلم والأدب والسمت، وأما تلاميذه وطلبته؛ فهم الذين يرثون علمه وفكره وأدبه وتراثه.

ومن شيوخ ابن هشام النحوي المشهورين والمبرزين الذين تلقى عنهم العربية وعلوم الدين، تاج الدين الفاكهاني (731هـ)¹ الذي قرأ عليه (شرح الإشارة) في النحو...، وبدر الدين بن جماعة (733هـ)² أخذ عنه العربية.....، ابن المرحل شهاب الدين (744هـ)³ أخذ عنه ونوه به وعرف بقدره، وكان يطريه ويفضله على أكابر علماء عصره...، وتاج الدين التبريزي (746هـ)⁴، وشمس الدين بن السراج (746هـ)⁵،... وغيرهم.

وأما تلاميذه فلا تجد في الكتب التي ترجمت له ذكرا لهم، ولعل أكثرهم ليسوا من المشهورين، واكتفى بعضهم بالقول: (...وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم)⁶، وقد ذكر عدد من الباحثين بعض تلاميذه الذين نسب المترجمون دراستهم وطلبهم العلم عليه⁷.

¹ انظر: ترجمته في: الدرر الكامنة/ ابن حجر، (210 و 209/4).

² انظر: ترجمته في: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ت/ محمود الأرناؤوط، نخ/ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، ط1، سنة 1406هـ/ 1986م، (8/ 185 و 186).

³ انظر ترجمته في: الدرر الكامنة/ ابن حجر، (3/ 209-211). وشذرات الذهب/ ابن العماد، (8/ 244).

⁴ انظر ترجمته في: شذرات الذهب/ ابن العماد، (8/ 256 و 257).

⁵ انظر ترجمته في: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان/ صيدا، (1/ 235).

⁶ انظر: الدرر الكامنة/ ابن حجر، (3/ 93).

⁷ وذكر من تلاميذه البارزين: إبراهيم اللخمي الشافعي (639هـ)، وعلي بن أبي بكر البالسي (767هـ)، ومحجب الدين بن هشام ولده (799هـ)، وإبراهيم ابن إسحاق الدجوي (803هـ)... وغيرهم. أنظر: جهود ابن هشام الأنصاري في التفسير، عبد القادر شكيمة، ماجستير، كلية العلوم الإسلامية و الاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1432هـ/ 2011م، (ص 29 و 30).

المطلب الثاني: وفاة ابن هشام النحوي وأثاره.

أولاً: وفاته وورثاؤه:

كما اتفق المؤرخون على تاريخ ولادته، فكذلك اتفقوا أيضاً على تاريخ وفاته، وكان ذلك في القاهرة في الشهر الذي ولد فيه، أي في ذي القعدة من سنة (761هـ)¹، وتوفي عن 53 سنة فيما تضافرت به الروايات لم يشذ منها إلا ما ذكره بعضهم²، وفي الدرر الكامنة أنه توفي ليلية الجمعة في خامس ذي القعدة وهو اليوم نفسه الذي ولد فيه³، وقد سجل صاحب النجوم الزاهرة الساعة التي دفن فيها والقبر الذي وارى جثمانه؛ وأنه دفن بعد صلاة العصر بمقابر الصوفية خارج باب النصر من القاهرة⁴، وقد نقش في عمود على قبره قبره تاريخ ميلاده 708هـ وتاريخ وفاته 761هـ⁵

وكان لموت ابن هشام النحوي هزة عنيفة في نفوس معاصريه من العلماء والأدباء وكذا ذويه وأهله وطلبته ومحبيه، فقد رثاه⁶ ابن نباته⁷..... بقوله: سقى ابن هشام في الثرى الثرى نوء رحمة يجرع على مثواه ذيل غمام

سأروي له من سيرة المدح مسندا فمازلت أروي سيرة ابن هشام.

¹ انظر: شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، (5/1).

² ذكر حاجي خليفة في غير موضع من كتابه أنه توفي سنة 762هـ. أنظر: كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، حاجي خليفة، الكتب العلمية، بيروت، مكتبة المثنى، بغداد، سنة 1941م، (384/1 و406)، و(1021/2 و1029). وذكر أيضاً إسماعيل باشا تاريخاً آخر، أنه توفي سنة 763هـ. أنظر: هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ وكالة المعارف الجلية، إستانبول 1951م، (465/1). وقيل: وهما ممن كان له عناية بتتبع المؤلفات وإسنادها أكثر مما تعنيهما تراجم المؤلفين وتحري الدقة في مواليدهم ووفياتهم. أنظر: ابن هشام وجهوده في التفسير/ شكيمة، (ص23).

³ انظر: الدرر الكامنة/ ابن حجر، (95/3).

⁴ انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، دار الكتب، مصر، (10/336).

⁵ انظر: ابن هشام وأثره في النحو العربي، الضبع، (ص18).

⁶ وممن رثاه أيضاً ابن الصاحب بدر الدين المصري. انظر: الدرر الكامنة/ ابن حجر، (94/3 و95). وانظر ترجمة بدر الدين في: شذرات الذهب/ ابن العماد، (516/8 و517).

⁷ انظر ترجمته في: المصدر نفسه، (364/8 و365).

ثانياً: آثاره:

لقد خلف ابن هشام النحوي تركة علمية ضخمة في مجال الدراسات اللغوية والنحوية، حيث ترك مصنفات كثيرة ومتنوعة كلها نافعة ومفيدة، تحتوي على تحقيقات عديدة وتدقيقات غريبة ونكت عجيبة، وجل هذه المؤلفات في النحو والصرف وكذا اللغة، كما أن فيها علما جما.

وقد حظي بمزيد من الاهتمام من لدن العلماء القدامى والمحدثين، فأثنوا عليه ثناء عظما، كما اهتموا بدراسة آثاره ومصنفاته وتلخيصها ونظمها والتعليق عليها وشرح شواهدا، ويرى أكثر الباحثين أن العقد الأخير من حياته يمثل أخصب فترة في تاريخه الفكري لأنه يمثل النضوج والكمال في إنتاجه.

ويعد قطر الندى والشذور من أوائل ما صنفه في مراحل تأليفه ثم جاء شرحه على الألفية ثم المغني، والذي يعد قمة التأليف عنده؛ فكتابه المغني يأتي في صدارة قائمة التراث اللغوي الضخم الذي ورثناه عن أسلافنا من النحاة، بل يمثل الرؤية الناضجة التي تعكس شخصية ابن هشام النحوي التي تبحث عن الإبداع والتميز.

وجرد بعض الباحثين هذه المؤلفات وصنفها ورتبها ووصفها وعرف بمضمونها وقومها¹، كما ذكر غيره جميع آثاره من الكتب والرسائل والأبحاث، ثم خص بالحديث كتبه الأربعة المشهورة عنه².

وإليك بعض هذه الآثار التي حظيت بالشهرة والانتشار من كتبه:

كتاب قطر الندى وبل الصدى مع شرحه، وكتاب شذور الذهب مع شرحه، ثم كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب، وكتابه القيم والضخم مغني اللبيب، وكتاب التوضيح وكتاب شرح بانة سعاد معلقة كعب بن زهير وشرح الشواهد وغيرها كثير حيث عدها بعض الدارسين وذكر أنها أربت عن 50 مؤلفا³.

¹ - انظر: ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، علي فودة نيل، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، سنة 1405هـ/1985م، ص9 وما بعدها.

² - انظر: تطور الفكر النحوي عند ابن هشام/ مصطفى حسين، ص45 وما بعدها.

³ - انظر: ابن هشام وجهوده في التفسير/ شكيمة، ص34 و40.

المطلب الثالث: مكانته العلمية.

أولاً: منزلته العلمية.

كان ابن هشام نحويًا لغويًا ومفسرًا محدثًا وشاعرًا وأديبًا وقارئًا ومقرئًا ضابطًا ومتقنًا، أخذًا من كل فن بطرف، ولكن براعته كانت في النحو؛ إذ هو نحوي عصره من دون منازع ولا مدافع، وإليه انتهت مشيخة النحو في زمانه فهو فيه لا يداني ولا يبارى، فخر مصر في وقته¹؛ حتى لقب بسيبويه زمانه، بل قيل فيه إنه كان "أنحى من سيبويه"².

كما كان بارعًا في التفسير والقراءات وعلوم القرآن، حتى قيل له يوما هلا فسرت القرآن فقال: "أغنائي المعني"، وعرف كذلك بالحديث والفقه وغيرها، ومجالسه العلمية وكتبه الكثيرة والمتنوعة تشهد له بذلك³.

وكان لابن هشام مدرسة حديثة يشار إليها بالبنان وتسير بذكرها الركبان وتشد إليها الرجال في اللغة والنحو والأدب، أضف إلى ذلك كله ما حباه الله به من لسان قوال وبيان سيال وذهن وقاد وعبقريّة فذة وعقل سديد وفهم رشيد.

ثانياً: ثناء العلماء عليه.

تتجلى مكانة ابن هشام النحوي من خلال شيوع ذكره وتصاعد صيته في أقوال معاصريه عنه وتنويهات الذين جاءوا من بعده من العلماء والأعلام، حيث لقي من المدح والثناء أكثر مما لقيه غيره، حيث أثنى عليه جميع من ترجم له بالخير والسبق والفضل والمشيخة، وممن ترجم له فذكره بخير وأثنى عليه في شهادة عظيمة لا مثيل لها:

العلامة ابن خلدون في غير موضع، ومما قال فيه: {...فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها...، فأتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته وإطلاعه والله يزيد في الخلق ما يشاء}⁴.

¹ - انظر: ابن هشام وأثره في النحو العربي، مرجع سابق، ص 50، 51.

² - انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر، 94/3.

³ - انظر: ابن هشام وأثره في النحو العربي، الضبع، ص 50، 51.

⁴ - ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، ت. خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، سنة 1408هـ/1988م، 755/1.

وقال للشيخ محب الدين- ولد المصنف :-{... لو عاش سيبويه لم يمكنه إلا التلمذة لوالدك والقراءة عليه}¹، وجاء في الدرر الكامنة:{...قال لنا ابن خلدون: مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنجى من سيبويه}².
وممن أثنى عليه أيضا صاحب النجوم الزاهرة: { ... وكان بارعا في عدة علوم لا سيما العربية؛ فإنه كان فارسها ومالك زمانها}³، وجاء في بغية الوعاة: { ... النحوي الفاضل، العلامة المشهور}⁴، وقال صاحب البدر الطالع:{... أتقن العربية؛ ففاق الأقران ولم يبق له نظير فيها، وصنف " مغني اللبيب"، وهو كتاب لم يؤلف في بابيه مثله واشتهر في حياته... وانتفع به الناس، وتفرد بهذا الفن وأحاط بدقائقه وحقائقه، وصار له من الملكة فيه ما لم يكن لغيره واشتهر صيته في الأقطار، وطارت مصنفاته في غالب الديار}⁵.
فهذه بعض آراء أشهر العلماء في ابن هشام النحوي، ممن شهد له بعلو منزلته في العلم ورفعة مكانته في اللغة والنحو والأدب.

¹ حاشية على متن المغني، محمد الأمير، ص26.

² الدرر الكامنة، ابن حجر، 94/3.

³ -النجوم الزاهرة، تغري بردي، 336/10.

⁴ بغية الوعاة/، السيوطي، 68/2.

⁵ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، 401/1.

المبحث الثاني: السمة التعليمية عند ابن هشام من خلال كتابه "شرح قطر الندى وبل الصدى".

تعد كتب ابن هشام النحوي من المصادر المهمة في مجال الدراسات النحوية واللغوية وخاصة ما اشتهر من كتبه الأربعة شرح قطر الندى والشذور والتوضيح والمغني وغيرها.

وقد أسهم ابن هشام النحوي فيها بشكل كبير في بناء صرح النحو العربي من خلال عملية التقعيد والتأصيل لعلم النحو والصرف، وهو حلقة ممتدة وهمزة وصل في مراحل نشأة النحو ونضوجه، أي في مراحل تطوره؛ فكان لبنة أساسية في اكتمال معالمه وبنائه.

وكيف لا يكون كذلك؛ وهو أحد أئمة اللغة الكبار وعالم من علماء النحو المتأخرين، أقام لنفسه مذهبا في علم النحو واللغة، أو مدرسة إن صح التعبير، واضحة المعالم والسمات وتامة الأركان والبناء له مؤلفاته المحنفة بها ومذهبه النحوي الخاص واختياره.

وأقام ابن هشام النحوي هذه المدرسة بالاعتماد على الأخذ عمن تقدمه من أئمة النحاة واللغويين، وخاصة نحاة البصرة والكوفة وبغداد، كما استفاد كثيرا من مدرسة الأندلس مدرسة ابن مالك صاحب الخلاصة في النحو، وسلك في بنائها منهج الاجتهاد التوفيقي العلمي الذي يقوم على الاختيار والانتقاء، وأسسها على أصول النحو المعتمدة شأنه في ذلك شأن المتأخرين من النحاة.

وسأقدم لمحة عن كتابه شرح قطر الندى وبل الصدى من خلال وصف عام أو بطاقة فنية عنه، ثم أبين الملامح العامة لمنهجه فيه وأهم سيماته، ثم أختتم بالكلام عن الصبغة التعليمية التي ميزت هذا الكتاب من خلال هذه المطالب الآتية.

المطلب الأول: وصف عام لكتاب شرح قطر الندى وبل الصدى¹ لابن هشام النحوي.

يعد "قطر الندى وبل الصدى" لابن هشام النحوي ت/761هـ الباكورة الأولى في إنتاجه الضخم، إذ هي من أوائل ما صنفه، وهي مقدمة صغيرة في علم النحو وضعها ابن هشام لطلاب علم النحو، وبمثابة مختصر جامع ومتن نافع قصد به ابن هشام المبتدئين في هذا العلم.

ثم رأى بعد ذلك حاجتها إلى التوضيح والتبيين فوضع لها شرحا من الحجم المتوسط، وقد ذكر هذا في مقدمة كتابه: {...وبعد فهذه نكت حررتها على مقدمتي المسماة بقطر الندى وبل الصدى رافعة لحجابها كاشفة لنقابها مكملة لشواهدا متممة لفوائدها كافية لمن اقتصر عليها وافية ببغية من جنح من طلاب علم العربية إليها...². كما أن لهذا المتن شروحات عدة ومتنوعة...³.

وهو كتاب تعليمي مال فيه صاحبه إلى الإيجاز والسهولة جعله جامعا للمبادئ الأساسية لعلم النحو، حيث ضمنه ما يحتاجه الطلاب في هذه المرحلة من قواعد النحو والإعراب ونهج فيه سبيل الاختصار والتركيز، وهذا الأمر الذي أكسبه صعوبة في وضوح معانيه وقصورا في عدم اكتمال مباحثه، وهو الأمر الذي جعله يضع عليه شرحا كما سبق.

وأما موضوع الكتاب؛ فقد اقتصر فيه على مباحث علم النحو فقط، فلا تجد فيه مباحث علم الصرف إلا القليل كالمشتقات والوقف وهمزة الوصل، وطريقته فيه أنك تجده سار على طريقة ابن مالك في ألفيته وشروحها، والناظر يرى هذا بأدنى تبصر ونظر، كما أنه لم يخالف هذه الطريقة إلا مخالفة يسيرة في بعض الأبواب حيث هناك اختلاف يسير في التبويب، ولكن مجموع هذا لا يؤثر في المشابهة الكبيرة بين تبويب القطر والألفية وشروحها، وهذا يظهر جليا في شرح ابن هشام النحوي على الألفية كما في كتابه "التوضيح"⁴، وكتاب

¹ كتاب قطر الندى، مقدمة نحوية ومتن بسيط من القطع الصغير تقع في 29 صفحة، وهو كتاب وضعه ابن هشام للمبتدئين في علم النحو، كتبه في عبارة موجزة ومركزة، وجعله صالحا للحفظ والاستظهار وجامعا للمبادئ الأساسية لقواعد النحو والإعراب، وقد رأى صاحبه بعد ذلك حاجته للتوضيح والتبيين فقام بشرحه، والكتاب نشر وطبع قديما في عدة طبعات وعليه حواش مفيدة وشروح لشواهد مجودة، كما تمت ترجمته إلى اللغة الفرنسية. أنظر: كلام الدكتور علي فودة عن كتاب قطر الندى وبل الصدى، حيث ذكر ذلك كله. ابن هشام آثاره ومذهبه النحوي، فودة، ص 102 وما بعدها.

² شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، ت. محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط 1، سنة 1383هـ، ص 10.

³ انظر: تطور الفكر النحوي عند ابن هشام، مصطفى حسين، ص 59.

⁴ انظر: ابن هشام آثاره ومذهبه النحوي، فودة، 95.

قطر الندى وبل الصدى، له مخطوطات كثيرة ومتفرقة في أنحاء العالم كله كما ذكر ذلك المستشرق بروكلمان في كتابه: "تاريخ الأدب العربي"، حيث ذكر معظم هذه المخطوطات وأماكن وجودها وأرقامها في الملحق¹.

المطلب الثاني: السمات العامة لمنهج ابن هشام النحوي في كتابه: "شرح قطر الندى وبل الصدى".

إن المتأمل لآثار ابن هشام النحوي يرى أنه سار على التجديد في علم النحو؛ إذ سلك نهجا جديدا في الدراسات النحوية التي تهتم بالمقصود مباشرة وترمى إلى تحقيق الغاية، من تكوين الملكة القوية لطلاب اللغة العربية، وكذا ما يحصل عندهم التقعيد والتأصيل فيها، وهي سمة بارزة وميزة واضحة تظهر على جل مصنفاته، وخاصة كتاب شرح قطر الندى والذي جعله للمبتدئين في علم النحو والصرف، ويمكن أن أجمل هذه السمات التي ميزت منهجه في هذا الكتاب في هذه النقاط الآتية:

• الاختيار والنقد:

إن الاختصار والإيجاز الذي غلب على كتاب شرح قطر الندى لم يجعله مجرد مختصر دقيق لما قرره السابقون أو ما اتفق عليه الجمهور، فابن هشام سلك أسلوب الاختيار قطعاً، فهو يعرض آراء النحاة في ما اختلفوا فيه في مواضع كثيرة من كتابه ثم يختار ويرجع أو يشير إلى مخالفته لهذه الآراء ومثال ذلك، ما فعله في مسألة "إذ ما"².

كما أنه يتعرض لبعض هذه الآراء بالنقد والرد مبيناً رأيه فيها، كما فعل في مسألة "رافع الفعل المضارع"³، فتجده يعرض الآراء ثم يختار منها ثم ينتقد بعضها ويرد البعض الآخر، كما أنه يقدم الأسباب التي من أجلها يرفض الآراء الأخرى⁴.

¹ انظر: المرجع نفسه، ص 102 وما بعدها.

² شرح قطر الندى وبل الصدى/ ابن هشام، ص 37.

³ المصدر نفسه، ص 57.

⁴ انظر: ابن هشام آثاره ومذهبه النحوي/ فودة، ص 98 و99.

● التفصيل في بعض المواطن:

مال ابن هشام النحوي في كتابه شرح قطر الندى إلى توخي الاستطراد والنقاش وعدم التعمق والتقصي في عرض المسائل النحوية، فكتابه هذا جعله مقدمة صغيرة في علم النحو؛ وضعها للمبتدئين فقط، فرغم الإيجاز والاختصار الذي غلب على كتابه إلا أنه يأتي بتفاصيل في بعض المباحث لا تجدها في كتب أطول منه؛ إذ تراه يفصل فيها ما لا تلقاه في غيرها من كتب النحو، وإن كان ذلك في بعض المسائل فقط¹.

مثل صنيعه في شروط "لا" العاملة عمل ليس²، وكذا في شروط "عمل المصدر"³، فأنت عندما تقارن هذا الذي ذكره هنا مع ما جعله في كتابه التوضيح والشذور⁴ فإنك تجده اقتصر على بعضها فقط.

وربما هذا يؤكد الغاية التعليمية والتربوية التي أرادها ابن هشام النحوي في تصنيف كتبه، وسيأتي بيان ذلك فيما بعد.

● كثرة المصادر وتنوعها:

أكثر ابن هشام النحوي من المصادر النحوية واللغوية، حيث تجده قد رجع إلى أهم أمهات كتب النحو واللغة المعتمدة والمشهورة⁵، كما أنه أخذ عن أئمة النحو المعروفين والمبرزين⁶.

¹ انظر: المرجع نفسه، ص 97.

² انظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام النحوي، ص 145.

³ انظر: المصدر نفسه، ص 260-266.

⁴ قارن ذلك بما جاء في: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام النحوي، ت/ عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، ص 491. وأيضا بما جاء في: أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، ابن هشام النحوي ت/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، 170/3.

⁵ ومن كتب النحو المشهورة التي رجع إليها كتاب الحليبات للفارسي والأنموذج والكشاف للزمخشري والإجازة وشرح الجمل لابن عصفور وغيرها من الكتب. أنظر: ابن هشام الأنصاري آثار ومذهبه النحوي/ فودة، ص 100.

⁶ ومن أئمة النحو الذين أخذ عنهم وذكرهم في كتابه، فأكثرهم ترددا سيبويه وأخفش والفراء والكسائي وابن السراج والمبرد والزجاج وابن خروف وغيرهم. أنظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

وقد أكثر في كتابه شرح قطر الندى من إيراد الشواهد، فكان القرآن الكريم المصدر الأول عنده، حيث توسع في الاعتماد على الدليل القرآني بما في ذلك القراءات القرآنية¹، إذ جعله عمدة الأدلة النقلية مع التنوع في إيراده، كما كان له عناية واهتمام كبير بالحديث الشريف² في جميع كتبه حيث جعله كدليل للاستشهاد، إذ اعتمده كأصل من أصول النحو دون عارضه، أي ناصر يقويه، كما تجده يقدمه على غيره من الشواهد كالشعر والنثر...³

كما اهتم في باب إيراد الشواهد بكلام العرب كغيره من النحاة واللغويين، حيث عده من أصول النحو المعتمدة عنده، جاعلا الشعر أصلا من الأصول التي تدعم الآراء النحوية⁴، النحوية⁴، ولكنك ترى أنه تردد ورفض قبول الشواهد المجهولة⁵، كما أشار إلى ذلك صاحب صاحب كتاب "المزهر في اللغة"، حيث ذكر أنه كثيرا ما يردد قوله: "...والجواب عندنا أنه لا يعلم قائله فلا حجة فيه..."⁶، وإن كان في ذلك نظر.

• الاعتراض والرد: (تخطئاته وتعقيباته).

وليس هذا فقط؛ فإنك تجد لابن هشام النحوي في كتابه شرح قطر الندى تخطيئات للمتقدمين من النحاة واعتراضات عليهم وتعقيبات على كلامهم، كما صنع مع الإمام الزجاجي⁷ النحوي الكبير صاحب كتاب الجمل، في كلمة "أمس"⁸.

¹ حيث ذكرت صاحبة كتاب "في أدلة النحو" أن عدد الآيات القرآنية بلغت (433 آية)، في شرح قطر الندى. انظر: في أدلة النحو، عفاف حسنين، طبعة جديدة، المكتبة الأكاديمية، 1996م، (ص30).

² كما بلغ عدد الأحاديث النبوية التي ذكرها ابن هشام في كتابه شرح قطر الندى (19 حديثا نبويا). انظر: الخلاف والترجيح عند ابن هشام الأنصاري من خلال مؤلفاته النحوية، محمد سليمان محمد، دكتوراه في اللغة، جامعة النيلين، 1439هـ/2018م، ص49 و50. وانظر أيضا: تطور الفكر النحوي عند ابن هشام/ مصطفى حسين، ص173 و174.

³ انظر: الخلاف والترجيح عند ابن هشام الأنصاري، محمد سليمان محمد، ص46 و49.

⁴ انظر: المرجع نفسه، ص51، حيث ذكر أن عدد الأبيات الشعرية التي استشهد بها ابن هشام النحوي في قطر الندى بلغت (150 بيتا). وانظر أيضا: تطور الفكر النحوي عند ابن هشام/ مصطفى حسين، ص180.

⁵ انظر: الخلاف والترجيح عند ابن هشام الأنصاري، محمد سليمان محمد، ص53.

⁶ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ت. فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م، (1/110).

⁷ انظر ترجمته في: بغية الوعاة، السيوطي، 2/77.

⁸ انظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام النحوي، ص19.

وكذا فعله معه في جوازم الفعل الواحد حيث غلط صاحب الجمل فيه¹، ويظهر هذا الأمر جلياً مع شدة موقفه مع معاصريه وعدم رضاه لبعض آرائهم، وخاصة مع شيخه الإمام أبي حيان الأندلسي².

• العدول عن الآراء:

ومن الملامح التي تؤيد الطابع التعليمي عند ابن هشام النحوي في كتبه ظاهرة العدول عن بعض الآراء النحوية³، أي يعدل عن رأي لآخر يرجحه، وهذا يبين نضوجه وتطور آرائه، ونلمح هذا خاصة في آثاره التي ألفها في العقد الأخير من حياته، حيث تجد له آراء تختلف عما ذهب إليه في المسائل نفسها في آثاره التي ألفها من قبل ذلك وهي كثيرة، من أمثلة ذلك، عدوله في باب تقسيم الفعل؛ فقد ذهب في جميع كتبه مذهب الصريين إلى أن الفعل ثلاثة أقسام، غير أنه عدل عن هذا الرأي إلى رأي الكوفيين فاعتمده⁴.

• الطابع التعليمي في إنتاجه:

إن أكثر ما حظي بالشهرة والانتشار والذيع من كتب ابن هشام النحوي، ما كان ذا سمة تعليمية مدرسية؛ حيث كثر الانتفاع منها وأقبل المقرئون على إقراءها للطلاب لما وجدوا فيها من فائدة، وقد كانوا يتدرجون معهم فيبدئونهم بالمقدمة المعروفة "بالقطر مع شرحها"، ثم "الشذور مع شرحه"، ثم ينقلونهم إلى الشرح المشهور على الألفية "التوضيح"، ثم يختمون هذه السلسلة بالتاج والتمام بكتاب "المغني"، وعلى هذا كان الطلاب قديماً من باب التقدير في بعض الأقطار العربية، أنهم كانوا يختمون بالشذور والتوضيح شبه ما يسمى اليوم بالمرحلة الإعدادية⁵.

¹ انظر: شرح قطر وبل الصدى، ابن هشام النحوي، ص 81.

² انظر: الخلاف والترجيح عند ابن هشام الأنصاري، محمد سليمان محمد، ص 140 وما بعدها. وقد أشار أيضاً كل من الحافظ ابن حجر والإمام السيوطي إلى هذا الخلاف الذي كان بين ابن هشام وأبي حيان. انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر، 93/3. وبغية الوعاة، السيوطي، 69/2. وانظر هنا كلاماً نفيساً للإمام الشوكاني في كتابه: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، 401/1. وانظر كذلك: ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، فودة، ص 453.

³ انظر: المرجع نفسه، ص 382 وما بعدها.

⁴ انظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام النحوي، ص 26 و 27. وانظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام النحوي، ص 300.

⁵ انظر: من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ص 204 و 205.

وهذا الملمح هو محل البحث هنا، سيأتي الكلام عنه بشيء من التفصيل والتمثيل في المطلب الآتي.

المطلب الثالث: مظاهر الطابع التعليمي عند ابن هشام النحوي من خلال كتابه شرح قطر الندى.

يعد كتاب "شرح قطر الندى" لابن هشام النحوي كتاب تعليميا وتربويا، مال فيه إلى الإيجاز والاختصار، حيث جعله مختصرا للشاذين في علم النحو، رعى فيه صاحبه التأليف للمبتدئين، لذا قد حاز هذا الشرح من التوفيق في أداء الغاية التي أُلّف من أجلها بما لم يحظ به إلا قلة من الكتب، وبقي منذ قرون توالى حتى يومنا هذا وهو معتمد كثير من المؤسسات التعليمية والتربوية في تدريس اللغة العربية¹.

ومما يدل على أنه جعل السمة التعليمية غاية في جميع آثاره، وخاصة كتابه هذا أنه لم يكن غرضه الجري وراء الخلاف والتتبع للآراء النحوية وتعقب المسائل بالنقد والتعليل والترجيح، بل كان منهجه فيه الإيجاز والاختصار، كما يؤكد هذا الهدف الذي سعى إليه في كتابه أنه توخى الاستطراد والابتعاد عن النقاش والتقصي وعدم التعمق فيه، فهي مقدمة صغيرة في علم النحو وضعها للمبتدئين وجعلها صالحة للاستظهار جامعة للمبادئ الأساسية².

ويشهد كذلك على أنه أراد الهدف التعليمي والتربوي في كتابه هذا، اقتصار مباحث كتابه على مباحث علم النحو فقط، فليس فيه من مباحث الصرف إلا القليل؛ كالمشتقات والوقف وهمزة الوصل...؛ إذ كانت له رغبة في تقريب المعاني إلى أذهان المبتدئين وكذا تذييل وتسهيل علم النحو لطلابه ودارسيه³.

ويظهر الطابع التعليمي كسمة واضحة وبارزة عند ابن هشام النحوي من خلال كتابه شرح قطر الندى من خلال بعض الملامح العامة التي أجملها في هذه النقاط الآتية:

¹ انظر: ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، فودة، ص 97 وص 382.

² انظر: المرجع نفسه، ص 95.

³ انظر: ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، فودة، ص 95 وص 100.

• الإيجاز والاختصار:

إن كتاب شرح قطر الندى كتاب مختصر¹، فمباحثه التي اشتمل عليها مال فيها مصنفها بشكل عام إلى ما يليق بالمختصرات من إيجاز وبعد عن التفاصيل والاستطرادات والتعليقات الكثيرة، فمثلا كلامه عن مسوغات الابتداء بالنكرة فلا يطيل فيها مقارنة مع غيره².

ثم إن اختصاره لا يقتصر على طريقة التناول لمسائل الموضوع الواحد والاكتفاء بما يراه مهما من الشروط والأحكام، بل يتعدى ذلك إلى أنواع هذه المسائل وعددها، ومثال ذلك كلامه في مسائل باب الحال³.

لاشك أن ابن هشام النحوي كان يميل إلى الإيجاز في عرض المسائل النحوية مع بسط الآراء من غير إسهاب، وكل ذلك في عبارة موجزة ومركزة.

• الاستغناء عن الأبواب:

وتظهر كذلك الصبغة التعليمية واضحة في لون آخر من الاختصار تجده في كتابه، حيث أنه لم يستوعب كل أبواب النحو التي تجدها مع ما في ألفية ابن مالك وشروحها عند المقارنة مثلا، فلا تجد عنده مثلا ذكرا لأفعال المقاربة والاختصاص والإغراء وغيرها.

فضلا على أنه لم يأت بمباحث الصرف إلا ما قل وندر وقد أشرت إلى ذلك سابقا، غير أن هذا كله لا يخل بقيمة الكتاب لما توخاه صاحبه فيه، فإنه جعله مختصرا للمبتدئين في علم النحو⁴.

¹ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن "شرح قطر الندى"، كتاب تعليمي مما جعله يميل إلى الإيجاز أكثر والسهولة في العبارة بغية إيصال هذه المسائل إلى المتعلمين بيسر دون إطالة.

² ذكر ابن هشام النحوي من مسوغات الابتداء بالنكرة مسوغين هما: العموم والخصوص، وأشار إلى أن بعض المتأخرين أوصلها إلى نيف وثلاثين... أنظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام النحوي، ص 117 و118. ثم قارن مع ما ذكره ابن عقيل في شرحه على الألفية. انظر: شرح ألفية ابن مالك، ابن عقيل، ت/ عبد الحميد محيي الدين، دار التراث، القاهرة، ط 20، 1400هـ/1980م، 1/215 و216.

³ ففي باب الحال مثلا اقتصر من مسائله على: تعريف الحال وشرط تنكيره وشروط صاحبه... إلخ. انظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام النحوي، ص 234-237. ثم قارن مع ما ذكره من مسائل الحال في شرحه على الألفية، انظر: أوضح المسالك، ابن هشام، 1/249-294.

⁴ أنظر: ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، فودة، ص 97.

● السهولة والتيسير:

كما أنك تجد ميزة أخرى وسمة ثابتة وهي واضحة وبارزة في كتابه إلى جانب ما تقدم، وهي الميل إلى السهولة في التعبير والتيسير في الأسلوب، وهي رغبة المصنف في تقريب المعاني إلى أذهان المبتدئين، كما فعل في بعض التعاريف¹، ومثال ذلك ما فعله عند تعريف التابع، إذ عرض بعض التعاريف ثم ذكر تعريفا مختصرا لها².

ثم إن هذه الميزة موجودة في جميع كتب ابن هشام النحوي؛ وهو ما يصرح به حينما يذكر بعض الأسباب التي تصعب دراسة علم النحو وتعلمه عند طلابه، وقد نص عليه في بعض مقدمات كتبه، خاصة كتابه المغني وغيرها³.

● الضم والإلحاق:

ومن الملامح التي تؤكد على أن ابن هشام النحوي قصد الهدف التعليمي تسهيلا لدراسي علم النحو، أنك تجده يضم الأبواب المتشابهة في النحو بعضها إلى بعض، حيث يلحق باب المرفوعات والمنصوبات والمجرورات ببعض، بعد أن تكلم عن البناء والإعراب في بداية كتابه. وكل هذا يدل على مراعاة الجانب التربوي والتعليمي للمستويات المختلفة لدى الدراسين من أجل تحصيل الملكة والمعرفة...، كما يظهر عنده في كتابه منهج التفضيل والانتقاء للآراء النحوية مع ذكر الأدلة والشواهد ولكن دون البسط والتفصيل والتتبع الذي لا يليق مع مقام التعليم ابتداء، ولا يناسب مستوى المبتدئين في علم النحو⁴، مثال ذلك تفضيل ابن هشام النحوي رأي من قال بفعلية كل من: (بئس ونعم وليس وعيسى)⁵، وهذا المسلك يظهر في عدة مواضع أو مسائل نحوية من كتابه⁶.

¹ انظر: المرجع نفسه، ص 100 و 101.

² -حيث عرفها تعريفا يسيرا وبسيطا مقارنة مع غيره، حيث قال: {...التوابع عبارة عن الكلمات التي لا يمسها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها}. أنظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام النحوي، ص 283.

³ قال في كتابه المغني: {...واعلم أنني تأملت كتب الإعراب فإذا السبب الذي اقتضى طولها ثلاثة أمور: أحدها كثرة التكرار... والثاني إيراد ما لا يتعلق بالإعراب كالكلام على اشتقاق اسم...، والثالث إعراب الواضحات كالمبتدأ وخبره...، ثم قال: ... وخطابي به لمن ابتداء في تعلم الإعراب ولمن استمسك منه بأوثق الأسباب...}. أنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام النحوي، ص 14 و 15 و 16.

⁴ انظر: تطور الفكر النحوي عند ابن هشام، مصطفى حسين، ص 59.

⁵ انظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام النحوي، ص 27 و 28.

⁶ للاستزادة من الأمثلة، أنظر: المصدر نفسه، ص 19 و 41.

• التكرار والإعادة والتدرج:

ومن السمات الواضحة على إنتاج ابن هشام الضخم التكرار والإعادة، وهي من وسائل التعليم والتربية في المناهج الحديثة المتبعة عند كثير من المؤسسات التعليمية، كتأليفه كتابين بينهما تقارب في المضمون وإن اختلفا في المنهج، كتاب قطر الندى وشرحه الذي بين أيدينا وكتاب الشذور وشرحه، فتأليف متن ثم القيام بشرحه كصنعه في المؤلفين السابقين فيه تكرار وإعادة، وكذا مما فيه وجه من وجوه التكرار إنشائه كتاب "الإعراب عن قواعد الإعراب"، المسمى "بالقواعد الكبرى"، ثم وضع مختصر عليه مسمى بـ: "القواعد الصغرى"، ثم إنشأ كتاب "المغنى"، الذي اشتمل على ما اشتمل عليه هاذين الكتابين¹.

وفي هذه الظاهرة، ظاهرة التكرار ملحظان لابد من الإشارة إليهما:

الأول: إن ظاهرة التكرار في إنتاجه كان من أسبابها ظروف العصر الذي عاش فيه، والتي استدعت شيوع تأليف المتون وشروحها²، وكان من أسبابها كذلك؛ وضوح المقصد والهدف وهو الطابع التعليمي والتربوي في بعض المؤلفات وما غلب عليه من التدرج فيها من رعاية لمستويات الطلاب المختلفة، وبروز الأسلوب التعليمي بخصائصه المختلفة خاصة على آثار ابن هشام النحوي خدم درس النحو خدمة جليلة طويلة هذه القرون، فمنذ ظهور كتبه وهي كتب الدرس اللغوي المعتمدة في المؤسسات المتخصصة إلى يومنا هذا.

الثاني: ثم إن هذه الظاهرة إنما هي لون من ألوان النضوج والتطور الذي يظهر على الفكر النحوي عنده وكذا على إنتاجه، وخاصة كتابه قطر الندى والشذور والمغني³.

وهذه الظاهرة بالذات؛ هي من أنجع الأساليب المستعملة في المناهج التعليمية والتربوية الحديثة عندنا اليوم وهذا لا يخفى، فهي المناسبة مراعاة للمستويات المختلفة لدى طلاب العلم- خاصة المبتدئين- والتي تتطلب التكرار والإعادة وكذا التدرج في أخذ اللغة وقواعدها وخاصة علم النحو والصرف.

¹ انظر: ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، فودة، ص 381.

² قال محمد الطنطاوي: { ...فما أجدر عهد الممالك بتسميته بعهد المتون والشروح...}. أنظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، ت/ أبو محمد عبد الرحمان بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط 1، 1426 هـ/ 2005 م، ص 215. قلت: ولا يخفى أنه العصر الذي عاش فيه ابن هشام النحوي.

³ - انظر ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، فودة، ص 381 و 382.

وهذا التطور والتدرج الذي مشى عليه في تأليف كتابه القطر والشذور وشرحهما، ثم مروراً بشرح الألفية ونهاية بتصنيف كتابه المغني؛ كله تذييل وتبسيط لقواعد النحو، وهو تسهيل وتيسير لطلاب اللغة ودارسيها.

الخاتمة.

وفي الأخير يعد ابن هشام النحوي علماً من أعلام النحاة المجتهدين والمجددين الذين يعود إليهم الفضل في تهذيب النحو العربي وإخراجه في شكله الكامل الواضح بعيداً عن الغموض والتعقيد.

حيث سار إلى التجديد في علم النحو؛ فسلك نهجاً جديداً في الدراسات النحوية التي تهتم بالمقصود مباشرة وتضييق دائرة الأقسام والتفريع والتفصيل والتحليل والتعليل والتدليل، وكذا الاهتمام بالجانب التعليمي والتربوي الذي يحصل عند الطلاب التعقيد والتأصيل اللغوي والنحوي.

كما يمكن اعتبار العقد الأخير من حياته أخصب فترة في تاريخه المعرفي والفكري، ويلاحظ على آثاره ملمحان:

الأول: أن فيها ما يمثل القمة والكمال في إنتاجه المعرفي والفكري، وخاصة في كتابه المغني وشرح معلقة بانث سعاد؛ فهما يمثلان القمة والإبداع، وفيهما تبلورت رؤيته وتطورت أفكاره.

والثاني: اهتداؤه إلى منهج جديد في التأليف لم يسبق إليه حيث استوفى فيه أحكام الإعراب جملة وتفصيلاً.

لذا يمكن أن نخلص إلى القول إن ابن هشام النحوي في إنتاجه اللغوي والنحوي الضخم والقيم أسهم بشكل فعلي في عملية البناء لشرح علم النحو، كما كان حلقة ممتدة في مراحل تطوره ولبنة أساسية في نضوجه واكتمال معالمه وبنائه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً: المصادر.

1. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، د.ت.
 2. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد عبد المعين ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر أباد - الهند، ط2، 1392هـ/1972م.
 3. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام النحوي، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م.
 4. شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.
 5. كشف الظنون عن أسماء الكتب و الفنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.
 6. هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وكالة المعارف الجليلة استانبول 1951م.
 7. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ/1988م.
 8. حاشية على متن المغني، الأمير محمد الشيخ، (د ط)، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1302هـ.
 9. شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري أبو محمد، عبد الله، جمال الدين، ت: محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط1، 1383هـ.
 10. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام النحوي، ت: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، د.ت.
 11. أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، ابن هشام النحوي، ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ابن هشام، دار الفكر (د/ط و س).
 12. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1998م.
 13. شرح ألفية ابن مالك، ابن عقيل، ت: عبد الحميد محمد محي الدين، دار التراث، القاهرة، ط20، 1400هـ/1980م.
- ثانياً: المراجع.
14. تطور الفكر النحوي عند ابن هشام الأنصاري من قطر الندى إلى مغني اللبيب، مصطفى حسين آدم عبد الله، دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، 1430هـ/2009م.
 15. جهود ابن هشام الأنصاري في التفسير، عبد القادر شكيمة، ماجستير، كلية العلوم الإسلامية و الاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1432هـ/2011م.
 16. ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، علي فودة نيل، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1405هـ/1985م.
 17. ابن هشام وأثره في النحو العربي، يوسف عبد الرحمان الضبع، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1418هـ/1998م.
 18. أدلة النحو، عفاف حسانين، طبعة جديدة، المكتبة الأكاديمية، 1996م.

19. الخلاف والترحيل عند ابن هشام الأنصاري من خلال مؤلفاته النحوية، محمد سليمان محمد، دكتوراه في اللغة، جامعة النيلين، 1439هـ/2018م.

20. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، ت: أبو محمد عبد الرحمان بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط1، 1426هـ/2005م.

1. Bughyat al-wu'āh fī Ṭabaqāt al-lughawīyīn wa-al-nuḥḥāh, Al-Suyūṭī, Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, al-Maktabah al-'Asrīyah, Ṣaydā: Libano.
2. Al-Durar alkāminh fī a'yān al-mi'ah al-thāminah, Abū al-Faḍl Aḥmad ibn 'Alī ibn Muḥammad ibn Aḥmad ibn Ḥajar al-'Asqalānī, Taḥqīq: Muḥammad 'Abd al-Mu'īn ḍān, Majlis Dā'irat al-Ma'ārif al-'Uthmānīyah, ṣydr Abād/ India, 1392 Hijrī) / 1972, 2nd. ed.
3. Mughnī al-labīb 'an kutub al-a'ārīb, Ibn Hishām al-Naḥwī (Ibn Hishām al-Anṣārī Abū Muḥammad, 'Abd Allāh, Jamāl al-Dīn), Taḥqīq: Māzin al-Mubārak wa-Muḥammad 'alā Ḥamad Allāh, Dār al-Fikr, Damascus, 1985, 6th. ed
4. Sharḥ al-Taṣrīḥ 'alā al-Tawḍīḥ, Khālīd al-Azharī, Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, Beirut 1421 Hijrī) / 2000.
5. Kashf al-ẓunūn 'an Asmā' al-Kutub wa al-Funūn, Ḥājjī Khalīfah, Dar al-Kutub al-'Ilmiyah, Beirut, Maktabat al-Muthannā, Baghdad, 1941.
6. Hadīyah al-'ārifīn li-asmā' al-mu'allifīn wa-āthār al-Muṣannifīn, Ismā'īl Bāshā al-Baghdādī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Beirut, Wakālat al-Ma'ārif al-jalīlah, Istānbūl, 1951.
7. Dīwān al-mubtada' wa-al-khabar fī Tārīkh al-'Arab wa-al-Barbar wa-man 'āṣarahum min dhawī al-sha'n al-akbar, Ibn Khaldūn 'Abd al-Raḥmān, Taḥqīq: Khalīl Shihādah, Dār al-Fikr, Beirut, 1408 Hijrī / 1988, 2nd Ed.
8. Ḥāshiyat 'alā matn al-Mughnī, al-Amīr Muḥammad al-Shaykh, Maṭba'at al-Ḥalabī, Cairo, 1302 Hijrī
9. Sharḥ Qaṭar al-nadā wa-ball al-Ṣadā, Ibn Hishām al-Naḥwī, Taḥqīq: Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd, Cairo, 1383 Hijrī, 1st ed.

10. Sharḥ Shudhūr al-dhahab fī ma‘rifat kalām al-‘Arab, Ibn Hishām al-Naḥwī, Taḥqīq: ‘Abd al-Ghanī Al-Daqr, al-Sharikah Al-Muttaḥidah lil-Tawzī‘, Syria, d.t.
11. Awdaḥ al-masālik ‘alā Alfīyat Ibn Mālīk, Ibn Hishām al-Naḥwī, Taḥqīq: Yūsuf Al-Shaykh Muḥammad Al-Biqā‘ī, Ibn Hishām, Dār al-Fikr, d.t.
12. Al-Muz‘hir fī ‘ulūm al-lughah wa-anwā‘hā, al-Suyūṭī, Taḥqīq: Fu‘ād ‘alā Maṣṣūr, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Beirut, 1418 Hijrī / 1998, 1st ed
13. Sharḥ Alfīyat Ibn Mālīk, Ibn ‘Aqīl (Ibn ‘Aqīl, ‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-Raḥmān al-‘Aqīlī al-Hamadānī al-Miṣrī), Taḥqīq: ‘Abd al-Ḥamīd Muḥammad Muḥyī al-Dīn, Dār al-Turāth, Cairo, 1400 Hijrī / 1980, 20th ed.
14. Taṭawwur al-Fikr al-Naḥwī ‘inda Ibn Hishām Al-Anṣārī min Qaṭar al-nadā ilā Mughnī al-labīb, Muṣṭafā Ḥusayn Ādam ‘Abd Allāh, Duktūrāh, Jāmi‘at Umm Durmān al-Islāmīyah, 1430 Hijrī / 2009M
15. Juhūd Ibn Hishām al-Anṣārī fī al-tafsīr, ‘Abd al-Qādir shkymh, mājjistīr, Kullīyat al-‘Ulūm al-Islāmīyah wa al-ijtimā‘īyah, Jāmi‘at al-Ḥājj Lakhḍar, Batna, 1432 Hijrī / 2011.
16. Ibn Hishām al-Anṣārī āthāruh wa-madhhabuhu al-Naḥwī, ‘Alī Fawdah Nayl, ‘Imādat Shu‘ūn al-Maktabāt, Jāmi‘at al-Malik Sa‘ūd, al-Riyāḍ, 1405 Hijrī / 1985, 1st ed.
17. Ibn Hishām wa-atharuhu fī al-naḥw al-‘Arabī, Yūsuf ‘Abd al-Raḥmān al-Ḍab‘, Dār al-ḥadīth, al-Qāhirah, 1418 Hijrī / 1998, 1st ed.
18. Adillat al-naḥw, ‘Afāf Ḥasānayn, Ṭab‘ah jadīdah, al-Maktabah al-Akādīmīyah, 1996.
19. Al-Khilāf wa-al-tarjīḥ ‘inda Ibn Hishām Al-Anṣārī min khilāl mu‘allafātih al-naḥwīyah, Muḥammad Sulaymān Muḥammad, duktūrāh fī al-lughah, Jāmi‘at al-Nīlayn, 1439 Hijrī / 2018.
20. Nash‘at al-naḥw wa-tārīkh ashhar al-nuḥāh, Muḥammad al-Ṭanṭāwī, Taḥqīq: Abū Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān Ibn Ismā‘īl, Maktabat Iḥyā‘ al-Turāth al-Islāmī, 1426 Hijrī / 2005, 1st ed.